وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية الأساسية
قسم التاريخ

محاضرات في تاريخ العراق السياسي المعاصر ١٩١٤ – ١٩٦٨

أ.د. قحطان حميد كاظم العنبكي

المحاضرة السابعة عشرة

وزارة توفيق السويدي ١٩٢٩ ومواجهة المشكلات الداخلية

حاول الملك فيصل تكليف نوري السعيد بتشكيل الوزارة الجديدة ، إلا أن السعدون ابلغ الملك أن أعضاء حزبه في البرلمان لا يستطيعون منح الثقة لنوري السعيد ، ولما لم يجد الملك مفراً من ذلك ،عهد إلى توفيق السويدي بتأليف الوزارة الجديدة في ٢٨ نيسان ١٩٢٩ ، وجرى تأليف الوزارة على الوجه التالي[١]:

١. توفيق السويدي رئيساً للوزراء، ووزيراً للخارجية والأوقاف .
٢ . عبد العزيز القصاب وزيراً للداخلية .
٣ . يوسف غنيمة وزيراً للمالية .
٤ . داؤد الحيدري وزيراً للعدلية .
٥ . محمد أمين زكي وزيراً للدفاع .
٦ . سلمان البراك وزيراً للري والزراعة .
٧ . خالد سليمان وزيراً للمعارف .
٨ . عبد المحسن شلاش وزيراً للمواصلات والأشغال.

---

(١). عبدالرزاق الحسني،تاريخ الوزارات العراقية..،ج٢، ص،٢٤٤.

جاءت الوزارة الجديدة، من هيئة وزارة عبدالمحسن السعدون، ومستندة إلى حزب السعدون الذي يتمتع بالأغلبية في مجلس النواب، لكن الحزب وضع أمام الوزارة شرط إجراء التعديلات المطلوبة على الاتفاقيتين، المالية والعسكرية، كي تنال ثقة البرلمان[٢].

أثار تشكيل توفيق السويدي للوزارة موجة من الغضب الشعبي، وغضب أحزاب المعارضة على حد سواء، ولذلك فقد كان عمر الوزارة قصيراً، ولم تستطع أن تقدم شيئاً يذكر سوى تصديها للمظاهرات الوطنية التي قامت في بغدد في ٣٠ آب ١٩٢٩ احتجاجاً على الجرائم التي ارتكبها الصهاينة، وقوات الاحتلال البريطاني في فلسطين ضد السكان العرب في ذلك الشهر، حيث تصدت الشرطة للمظاهرات وانهتها بالقوة . وقامت الحكومة بتعطيل جريدتي النهضة والوطن،وتوجيه إنذار لجريدة العالم العربي بسبب نشر المقالات المنددة بوعد(بلفور)، وجرائم الصهاينة في فلسطين، واحتج الحزب الوطني على أساليب الحكومة المتشددة، وخنقها للحريات العامة[٣].

وبسبب الموقف الشعبي،وموقف أحزاب المعارضة من الحكومة، لم يجد توفيق السويدي بُداً من تقديم استقالة حكومته إلى الملك فيصل في ٢٥ آب ١٩٢٩، ولم يمضِ على تشكيلها سوى أقل من أربعة أشهر ،لتعقبها وزارة عبد المحسن السعدون الرابعة[٤].

تشكيل وزارة عبد المحسن السعدون الرابعة

كلف الملك فيصل عبد المحسن السعدون بتأليف الوزارة الجديدة في ١٩ أيلول ١٩٢٩[٥]. وخلال الفترة الزمنية التي تلت استقالة حكومة توفيق السويدي وتأليف حكومة السعدون توفي المندوب السامي(جلبرت كلايتون) بالسكتة القلبية في بغداد مساء يوم الأربعاء ١١ أيلول ١٩٢٩[٦].

تشكلت وزارة عبد المحسن السعدون الرابعة على النحو التالي[٧]:

---

(٢). لطفي جعفر فرج عبدالله،المصدر السابق،ص ص،٣١٥-٣١٦.

(٣). عبدالرزاق الحسني،تاريخ الوزارات العراقية..،ج٢،ص ص،٢٦١-٢٦٢.

(٤).المصدر نفسه،ص٢٦٣.

(٥).المصدر نفسه،ص٢٧٥.

(٦). المصدر نفسه،ص٢٦٤.

(٧). المصدر نفسه،ص ٢٧٦،لطفي جعفر فرج عبدالله،المصدر السابق،ص ص،٣١٩-٣٢٠.

١. عبد المحسن السعدون رئيساً للوزراء ، ووزيراً للخارجية .
٢ . ناجي السويدي وزيراً للداخلية .
٣ . ناجي شوكت وزيراٍ للعدلية.
٤ . نوري السعيد وزيراً للدفاع .
٥ . ياسين الهاشمي وزيراً للمالية .
٦ . عبد الحسين الجلبي وزيراً للمعارف .
٧ . عبد العزيز القصاب وزيراً للري والزراعة .
٨ . محمد أمين زكي وزيراً للأشغال والمواصلات .

أبدى السعدون أول ملاحظاته عن الوضع السياسي حيث أشار فيها إلى أن بريطانيا قد وافقت على العمل لإدخال العراق في عصبة الأمم دون قيد أو شرط عام ١٩٣٢ ، ورغبة بريطانيا في عقد معاهدة جديدة لتنظيم العلاقة بين البلدين ، على نفس الأسس التي أقتُرح للاتفاق المصري البريطاني ، وأشار إلى أن هذا الموقف يُعد تراجعاً من بريطانيا عن مواقفها السابقة المتصلبة تجاه المطالب العراقية المشروعة في التحرر والاستقلال الوطني ، والسيادة الحقيقية[٨].

وضع السعدون في مقدمة قائمة المهام لوزارته الأمور التالية[٩] :

١. العمل على عقد معاهدة جديدة ، وتطبيقها لتسريع دخول العراق في عصبة الأمم،قبل عام ١٩٣٢، وإزالة أي صبغة للاحتلال البريطاني في صلب المعاهدة الجديدة.

٢ . إنهاء مسؤولية بريطانيا الدفاعية عن العراق ، وإناطتها بالجيش العراقي ، وتطبيق قانون التجنيد الإلزامي، لبناء جيش كبير، وقوي،يستطيع القيام بالمهام المطلوبة منه .

٣. تقليص عدد الضباط البريطانيين في الجيش العراقي،وتقليص عدد المفتشين البريطانيين ، والموظفين الذين لا تستدعي الحاجة إلى بقائهم واستبدالهم بموظفين عراقيين.

٤. إعادة النظر في التعريفة الكمركية،وتشجيع الصناعات الوطنية، وصمودها أمام المنافسة الأجنبية.

---

(٨). محاضر جلسات مجلس النواب،الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٢٩-١٩٣٠،ص ص،١٣-٢٥.

(٩). المصدر نفسه،ص ص،١٥-١٦.

بالنظر لوفاة المندوب السامي جلبرت كلايتون المفاجئة قررت الحكومة البريطانية تعيين السير فرنسيس همفريز Frances Humphreys [١٠]ليحل محله كمندوب سامٍ لها في العراق، في ٧ تشرين الأول ١٩٢٩ ، ووصل بالفعل إلى بغداد لتسلم مهام منصبه في ١٠ كانون الأول من العام نفسه ، وأعلنت الحكومة البريطانية في الوقت نفسه عن عزمها على ترشيح العراق لدخول عصبة الأمم عام ١٩٣٢[١١].

قررت حكومة عبدالمحسن السعدون الشروع بإجراء المفاوضات لوضع معاهدة جديدة تلبي طموح الشعب العراقي،وألّفت وفدها المفاوض من وزراء الدفاع، والمالية والداخلية ، وسارع عبدالمحسن السعدون إلى طرح برنامج حكومته أمام مجلس النواب في أول لقاء له مع المجلس بعد تأليف وزارته[١٢].

([١٠]). السير فرنسيس هنري همفريز :ولد سنة ١٨٧٩ وهو دبلوماسي بريطاني مشهور، درس في جامعة أكسفورد، ثم عمل في الحقل الدبلوماسي في كابل بأفغانستان من عام ١٩٢٢ وحتى عام ١٩٢٩ ، ومن ثم مندوباً سامياً في العراق من عام ١٩٢٩ إلى عام ١٩٣٢ ، وصل الى العراق في ١٠ كانون الاول ١٩٢٩ ، وتسلم منصبه من الميجر هربرت يونغ وكيل المندوب السامي المؤقت وقد جاء ذلك تقديراً لخدماته الممتازة في كابل بأفغانستان ممثلاً لصاحب الجلالة ملك بريطانيا ، تذكر الوثائق البريطانية ان فرنسيس همفريز قام بدور مهم في تهيئة العراق للدخول الى عصبة الامم دولة مستقلة في عام ١٩٣٢ بعد ان اظهرت عصبة الامم ارتياباً لايستهان به بالنسبة لتقدم العراق الاداري والسياسي والاجتماعي .كما اظهرت اهتماماً بمستقبل الاقليات في العراق .غير ان الحكومة البريطانية آزرت قضية العراق . وفي الجلسة العشرين للجنة الانتدابات الدائمية خُول المندوب السامي فرانسيس همفريز بأن يصرح :((**إن حكومة صاحب الجلالة تقدر تمام التقدير مسؤوليتها في ان توصي بأن يسمح للعراق بالدخول في حظيرة العصبة ، وتلك في نظرها الطريقة القانونية لانهاء الانتداب، أما إذا أثبت العراق عدم جدارته بالثقة التي وضعت فيه فإن المسؤولية المعنوية في ذلك يجب ان تقع على عاتق حكومة صاحب الجلالة**)).وكان لهذا التصريح تأثير عميق على القرار الذي توصلت اليه اللجنة، ومن ثم صدور قرار العصبة في ٣ تشرين الاول عام ١٩٣٢ بالموافقة على انضمام العراق لعضويتها، وبدأت عندئذ مرحلة جديدة في تاريخ العراق المعاصر، أما وفاة همفريز فكانت في عام ١٩٧١. ينظر: ابراهيم خليل العلاف، السير فرنسيس هنري همفريز ودوره في تسهيل ادخال العراق في عصبة الامم،مقال منشور على الموقع: http://wwwallafblogspotcom.blogspot.com

([١١]). عبدالرزاق الحسني،تاريخ الوزارات العراقية..،ج ٢،ص ص، ٢٨٢-٢٨٣.

([١٢]). لطفي جعفر فرج عبدالله،المصدر السابق،ص٣٣٧.

لكن المعارضة هاجمته بشدة واتهمته بالتراجع عن مواقفه السابقة التي أصر فيها على المطالب العراقية المشروعة فيما يخص المعاهدة، وتعديل الاتفاقيتين ، العسكرية والمالية .
وجاء ردّ السعدون على نواب المعارضة بنفس الدرجة من العنف عندما أنتقد النواب قبوله لتصريح الحكومة البريطانية السالف الذكر، وعما سيحصل إذا تغيرت الحكومة العمالية ، وتراجعت بريطانيا عن التصريح، وكان ذلك الرد في الجلسة المنعقدة بتاريخ ١١ تشرين الثاني ١٩٢٩، فقد قال السعدون:((**إذا ما حصل ذلك فإني اعتقد أن نيل الاستقلال تابع إلى جرأة الأمة، فالأمة التي تريد الاستقلال يجب أن تهيأ له، ولا يكون ذلك بالكلام، والأقوال الفارغة فالاستقلال يؤخذ بالقوة والتضحية..**))[١٣].

انتحار رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون

كان لكلام عبد المحسن السعدون في مجلس النواب دوي كبير لدى الجانب المعارض والجانب الموالي لبريطانيا على حد سواء، ففي الوقت الذي ثّمن المعارضون ما قاله السعدون من أن الاستقلال يؤخذ بالقوة، ومطالبته الشعب بالتهيؤ له والتضحية في سبيله ، فإن الموالين لبريطانيا قد أغضبهم حديثه[١٤]،وسعى البعض منهم للوشاية به، لدى وكيل المندوب السامي البريطاني الميجر يانكMajor Yan الذي سارع إلى معاتبة السعدون، وتقريعه بكلمات خشنة وعنيفة أثارت في نفسه الحزن العميق لدرجة لم يعد يتحملها، ودفعته إلى الانتحار في ١٣ تشرين الثاني ١٩٢٩،حيث أطلق على نفسه الرصاص تاركاً زملاءه ،والملك فيصل، ووكيل المندوب السامي في حالة من الذهول الشديد والقلق العميق مما يمكن أن يحدثه انتحاره من رد فعل لدى الشعب[١٥]. وقد ترك وصيته لأبنه(علي)شرح فيها أسباب أقدامه على الانتحار،وأوصاه بوالدته وأخوته الصغار. وهذه نص الوصية:((**ولدي وعيني، ومستندي علي: اعفِ عني لما ارتكبته من جناية لأني سئمت هذه الحياة،التي لم أجد فيها لذةً وذوقاً وشرفاً.الأمة تنتظر خدمة،والإنكليز**

---

(١٣). محاضر جلسات مجلس النواب،الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٢٩-١٩٣٠،ص ١٥؛خيري امين العمري،المصدر السابق،ص٢٠٢.

(١٤). خيري امين العمري،المصدر السابق،ص٢٠٣-٢٠٦.

(١٥). عبدالرزاق الحسني،تاريخ الوزارات العراقية ..، ج ٢ ،ص ص،٢٩٢-٢٩٣.

لايوافقون،ليس لي ظهير،العراقيون طلاب الاستقلال ضعفاء عاجزون، وبعيدون كثيراً عن الاستقلال.هم عاجزون عن تقدير نصائح أرباب الناموس مثلي.يظنون أني خائن للوطن، وعبد للإنكليز،ما أعظم هذه المصيبة،أنا الفدائي الأشد إخلاصاً لوطني، قد كابدت أنواع الاحتقارات،وتحملت المذلات،محضاً في سبيل هذه البقعة المباركة التي عاش فيها آبائي وأجدادي مرفهين .ولدي نصيحتي الأخيرة لك هي[١٦]:

١ . أن ترحم أخوتك الصغار الذين سيبقون يتامى، وتحترم والدتك ، وتخلص لوطنك .

٢. أن تخلص للملك فيصل وذريته إخلاصاً مطلقاً . أعفِ عني يا ولدي علي)).

سارعت الحكومة إلى إذاعة نبأ الفاجعة ،وجرى تشيع مهيب للفقيد،إلى المقبرة الكيلانية في باب الشيخ ، وسار خلف جنازته جميع الشخصيات السياسية وجمع غفير جداً من أبناء الشعب وهم يعبرون عن الأسى والحزن العميق لانتحاره ، وانهالت برقيات التعازي من شتى أنحاء العالم[١٧].

أما وكيل المندوب السامي ،فقد أحتج على الحكومة بشدة بسبب سماحها بنشر وصية السعدون، معتبراً ذلك العمل تحريضاً على بريطانيا وسياستها تجاه العراق وتثير هيجاناً لدى الرأي العام العراقي، لكن الملك فيصل، والحكومة حاولوا بكل خنوع تبرير نشر الوصية إرضاءً لوكيل المندوب السامي البريطاني[١٨].

([١٦]). عبدالرزاق الحسني،تاريخ العراق السياسي الحديث..،ج ٢ ،ص٢١٢؛ لطفي جعفر فرج عبدالله، المصدر السابق،ص٣٧٥.

([١٧]). عبدالرزاق الحسني،تاريخ الوزارات العراقية ..، ج ٢ ،ص٢٩٩.

([١٨]).عبدالعزيز القصاب،المصدر السابق،ص٢٨٣.